

إعادة الإعمار في سوريا بين التنظير وصعوبة التطبيق

مركز الفرات للدراسات



مقدمة

إن الحرب حين تطأ أية أرض، تحولها إلى ركام، وتحرق في طريقها الأخضر واليابس، وبعد انتهائها - بانتصار أحد الأطراف، أو حتى من دون انتصار أحد - تكون قد تدمرت الكثير من إمكانات البلاد، وتبددت مواردها، حيث يكون الجميع قد استنفد طاقاته فيها. وهنا يأتي دور صنّاع القرار، بتداول مصطلح إعادة الإعمار، كما يحدث اليوم في سوريا، وربما من بيني هو نفسه الذي كان له الدور الرائد في التدمير، في ظل المنظومة الرأسمالية العالمية التي تساهم بصورة أو بأخرى في عمليات التدمير بعد افتعال الحروب والأزمات التي تنشط سوق الأسلحة المختلفة وترفع من مستويات أرباح شركاتها، ثم تأتي عملية البناء بعد إنهاك الأطراف المتصارعة، فتبدأ الجهات الأكثر فاعلية وقوة في تلك الأزمات بأخذ الامتيازات مقابل القروض المانحة، ويربط مبادئ إعادة الإعمار بمصالحها ورؤاها حول شكل الحل النهائي فيبدأ الصراع مجدداً حول من سيعيد الإعمار.

إن عمليات إعادة الإعمار بعد الحروب تعد من أكبر التحديات وأعقدها، وهي ليست بقضية اقتصادية بحتة، بل هي قضية سياسية في المقدمة، تتحكم بها مصالح الدول، لأنها لم تصنع الأزمات لتترك الإعمار بيد الآخرين، إنما يجب أن يكون لها حصة الأسد في هذه العملية.

لا يكاد يمر عقد على منطقة الشرق الأوسط دون أن يتلّون بالدماء والخراب، فإما حرب أهلية أو حرب دولية. فتكون تلك الحرب الأداة التي تدمّر كل شيء، من المدن إلى القرى، من الطرقات إلى الأبنية، والمعامل والمدارس، إن هذه الحروب لا تحصل مصادفةً، بل ما يدفع إلى كل هذه الحروب هو الجشع والاستحواذ على السلطة والهيمنة.

وما تعيشه سوريا منذ عشر سنوات جزءاً من هذا الصراع ، حيث بدأت الأزمة بشكلٍ سلميٍّ، ولكن سرعان ما تحولت الى صراع مسلح دموي، فكانت نتيجتها تدخل القوى الإقليمية والدولية في المنطقة، لا شك إنك إن سافرت برّاً من أي مكان في سوريا، ستصادف بطريقك حجم الدمار الذي خلفتها هذه الحرب، حتى أن الكثير من المدن لا تبدو سوى أكوام من الخراب، مسروقةً حديدها، فقد تركت هذه الحرب القائمة أضراراً بالغة على البيئة الاجتماعية والثقافية والعمرانية، وعلى كافة مناحي الحياة.

إشكالية الدراسة

تتبع إشكالية هذه الدراسة من التحديات التي تواجه إعادة الإعمار في سوريا؛ في ظل عقدة التدخلات الخارجية، وتنوع الأجنداث الداخلية على الساحة السورية، وصعوبة التوافق بين كل هذه الجهات، لذلك يمكن طرح إشكالية الدراسة بصيغة السؤال التالي:

- كيف سيكون إعادة الإعمار في ظل كل هذه التدخلات الإقليمية والدولية؟

هذا ما نحاول أن نسلط الضوء عليه في دراستنا هذه.

الهدف من الدراسة

تشكل عملية إعادة الإعمار في سوريا إحدى أهم المواضيع الخلافية بين الجهات الفاعلة في الأزمة السورية، وتشترك بصورة مباشرة مع مصالحها وفق ذلك، فهي ترتبط بشكل الحل النهائي، وبإمكانية فرض كل جهة وجهة نظرها. ومن هنا فإننا نهدف من دراسة قضية إعادة الإعمار إلى التعرف على الظروف الدولية والإقليمية المحاطة بسوريا، وبيان الدور الدولي والإقليمي في الأزمة السورية، وفي عملية إعادة الإعمار، فضلاً عن تبيان أهم التحديات التي تواجه تلك العملية.

تمهيد

ما زالت أرقام الخسائر وأعداد اللاجئين يتضاعف، بعد أن دخلت الأزمة السورية عامها العاشر، ولعل أهم ما يشغل السوريين الآن، هو سؤال كيف ستعمر سوريا بعد انتهاء الحرب؟ وما هي الطرق والوسائل للوصول إلى إعادة إعمار البلاد. حاولنا في هذه الورقة البحثية دراسة قضية إعادة إعمار سوريا، من حيث التعريف بالمصطلح، والتحديات التي تواجه هذه القضية، كحالة الفساد، والانتقائية، والتمويل، والمنح المالية. ثم إن الأطراف الفاعلة بحد ذاتها تشكل تحدياً، فكل طرف يحاول أن ينفذ أجنداته، كما حاولنا تسليط الضوء على بعض نماذج إعادة الإعمار، وعلى مصالح الأطراف المشاركة في هذه العملية، بهدف التوصل إلى نتائج توضح الخيارات القائمة أمام النظام السوري.

وبالتالي كلما طال أمد أو تأجيل هذه العملية، فإن الخسائر تصبح ككرة الثلج المتدرجة، يتزايد حجمها باستمرار. لذلك فإنه يتوجب التوصل بأسرع وقت لتفاهات سياسية حول هذه القضية كون البلاد لم تعد تحتل خراباً أكثر.

أولاً: تعريف إعادة الإعمار

إن عملية إعادة الإعمار هي عملية شائكة ومعقدة، لكثرة الجهات المشاركة فيها، وتباين مصالحها، فهي لا تعني بناء ما تهدم من البيوت، وإنما بشكل أعم تشمل إعادة الروح لكافة مناحي الحياة الاقتصادية والسياسية والحياتية، ولكن كل ذلك لن يتحقق دون اللجوء بدايةً إلى حل النزاعات التي أفرزتها الحرب. حيث يرى البعض أنه لا توجد حدود فاصلة بين حل النزاع وإعادة الإعمار، لأنهما مرحلتان متداخلتان تهدفان إلى تحقيق السلام والأمن.

وقد ورد تعريف إعادة الإعمار في أدبيات الأمم المتحدة على أنه: "عملية بذل جهود شاملة لتحديد ودعم الهياكل التي من شأنها توطيد السلام، ولدفع الشعور بالثقة والرفاهية بين الناس، من خلال اتفاقات إنهاء الحروب، وقد تشمل هذه العملية نزع سلاح الأطراف المتحاربة سابقاً، واستعادة النظام، وإعادة اللاجئين، والخدمة الاستشارية، والدعم في مجال التدريب لموظفي الأمن، ومراقبة الانتخابات، وجهود الدفع إلى حماية حقوق الإنسان، وإصلاح وتعزيز المؤسسات الحكومية، وتعزيز المشاركة في العملية السياسية من طرف الفواعل الرسمية وغير الرسمية في الدولة"¹ إذاً عملية إعادة الإعمار لا تمثل فقط الجانب الاقتصادي، إنما هي عملية متكاملة تشمل جميع نواحي الحياة المجتمعية بعد الحرب، أي عملية بناء السلام. فأى نقص في عملية إعادة الإعمار سواءً كان اجتماعياً أو سياسياً، أو غياب للخطط والاستراتيجيات الشاملة، سيؤدي ربما إلى نزاعات أكثر ضراوة من السابق.

ثانياً - خسائر الحرب ومتطلبات إعادة الإعمار في سوريا:

مرّ عقد على الحرب في سوريا، عقد من الدمار والخراب والتهجير، مما خلف نتائج كارثية على بنية المجتمع، فوفق مركز كارينغي في مطلع العام 2019، تراوحت تقديرات تكلفة إعادة

¹ القوانين المتعلقة بإعادة الإعمار ومشروعيتها، المنتدى القانوني السوري، المحامي فراس حاج يحيى، 2019.

الإعمار بين 250 و400 مليار دولار²، يبدو هذا المبلغ خيالياً وكبيراً جداً بالنسبة إلى تحمل الميزانية السورية، وخاصة في ظل تراجع الناتج المحلي.

وفيما يلي سنحاول أن نصنف الخسائر من حيث السكان، والتعليم، والبناء.

السكان: أكثر فئة تعرضت للخسائر والدمار، فوفقاً للبنك الدولي انخفض عدد السكان في سوريا من 21.8 مليوناً في عام 2010 إلى 18.5 مليوناً في عام 2015، وقد ارتفع معدل البطالة إلى 66% في 2015 "قبل أن يتراجع إلى 42.3% عام 2019" بحسب تقرير صادر عن لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا)³ والذي جاء فيه أيضاً أن 82% من الأضرار الناجمة عن الصراع تراكمت في سبعة من أكثر القطاعات كثافة في رأس المال كالإسكان، والتعدين، والنقل، والأمن، والتصنيع، والكهرباء، والصحة. كما فقد 3 ملايين شخص وظائفهم⁴. وشهدت أوضاع التنمية البشرية تدهوراً مستمراً حيث سجل دليل التنمية البشرية في سوريا انخفاضاً حاداً من 0,64 في 2010 إلى 0,549 في 2018⁵.

التعليم: إن قطاع التعليم من أكثر القطاعات خسارة، فقد تحولت كثير من المدارس إلى ثكنات عسكرية، فقد ذكرت اليونيسف بأنه تعرّض حوالي 40% من البنية التحتية للمدارس في سوريا للضرر أو للدمار أثناء الحرب⁶.

الأبنية: منذ أن بدأت الحرب وإلى يومنا هذا، تدمرت الكثير من المدن والبنى التحتية كخطوط النقل، والمواصلات، والجسور، والمدارس، والمصانع، وقد قدرت الأمم المتحدة في 2015 أن نحو 2.1 مليون منزل، ونصف مستشفيات البلاد، وأكثر من 7000 مدرسة قد تدمرت⁷.

ثالثاً: نماذج إعادة الإعمار

تلتقي سياسات إعادة الإعمار مع الاستراتيجيات الدولية والإقليمية، فمن يقدم المنح يقدم معها استراتيجياته الخاصة، ويحاول فرض سياساته ورؤيته للاستمرار في إنهاء النزاع وإعادة الإعمار. وهنا يمكننا أن نذكر بعض النماذج السابقة لعمليات إعادة الإعمار التي تمت في مناطق مختلفة من العالم، بعد انتهاء حروبها كمدخل لفهم طبيعة وآليات هذه المسألة وتطبيقاتها الواقعية.

1- خطة مارشال لإعادة إعمار أوروبا: بدأت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، ورسمياً بدأت في عام 1949 وانتهت 1951، وشملت هذه الخطة التي تم تمريرها عبر الكونجرس تحت مسمى "برنامج التعافي الأوروبي" على تقديم الولايات المتحدة المساعدات المالية للدول الأوروبية

² مفارقة إعادة إعمار سورية.

³ "سوريا بعد ثماني سنوات من الحرب" تقرير صادر عن لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا بالاشتراك مع مركز الدراسات السورية في جامعة سانت أندروز – 2020/9/23

⁴ اقتصاديات إعادة الإعمار بعد انتهاء الصراع في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مجموعة البنك الدولي، نيسان 2017،

ص18

⁵ المشهد الاجتماعي.

⁶ الأزمة السورية: حقائق سريعة.

⁷ The ruins of Kobane.

والتي قدرت بـ 13 مليار دولار؛ للتعافي من آثار الحرب التي دمرت دولاً أوروبية رئيسية كألمانيا، وفرنسا، وبريطانيا، وبلجيكا وغيرهم. وتعرضت البنية التحتية فيها لدمار شبه كامل، خاصة الجسور والموانئ والسكك الحديدية والطرق وأساطيل السفن التجارية والحربية، وكانت هذه الخطة حاسمة في إعادة بناء أوروبا الغربية وخاصة ألمانيا وبريطانيا، حيث تم بموجب هذه الخطة منح المساعدات للعديد من الدول استناداً إلى معايير تتعلق بحجم القوة الصناعية للدولة؛ من منطلق أن تعافي تلك الاقتصادات القوية سيكون كفيلاً بإحداث محفزات للنمو والتعافي على الصعيد الأوروبي ككل. والملفت في تنفيذ هذه الخطة كان أمران أساسيان الأول أن تقديم الولايات المتحدة مساعدات مالية للدول الأوروبية كان كفيلاً بفتح قنوات تجارية رئيسية بينها وبين الولايات المتحدة غير المدمرة التي لم تصلها خسائر الحرب، والثاني أن الدول التي تلقت حصة كبيرة من المساعدات تخطت فيها معدلات النمو الاقتصادي بنهاية مدة المشروع مستويات ما قبل الحرب. وقد ذكرت هذه الخطة تاريخياً بأنها من النماذج الناجحة في التاريخ الحديث.

2- العراق: تلقت العراق خلال مرحلة إعادة الإعمار تمويلاً عالياً نسبياً، غير أن هذه الأموال التي تلقتها العراق لم يتم استخدامها بالشكل الأمثل لتعزيز إمكانات وقدرات المؤسسات العراقية أو حتى تحسين عملها. وقد بُني التخطيط الأولي في العراق بشكل كامل تقريباً على أساس تفعيل المصالح الرأسمالية الإقليمية والدولية⁸. فقد كانت الآثار المدمرة للمبالغ الضخمة من الموارد التمويلية المستخدمة لمشاريع "تستند إلى اعتبارات العرض" دون القدر الأدنى من المشاورات مع البلد المتلقي تشكل تحذيراً خطيراً⁹. فقد بنت الولايات المتحدة استراتيجيات وفق رؤيتها، بعيدة عن الواقع العراقي، مما أدى إلى إقصاء قوى اجتماعية عراقية من المشاركة في عملية إعادة الإعمار، وذلك بسبب غياب القوى السياسية العراقية ومنظمات المجتمع المدني، أو الشركات الأهلية المستقلة، عن المناقشات الخاصة بعملية إعادة الإعمار.

كما أن الفساد كان له الدور الأكبر في فشل العملية، فقد ذكر تقرير لمنظمة الشفافية الدولية إن "تقرير المفتش العام الأميركي الخاص ببرنامج إعادة إعمار العراق، ستيوارت باوين، وما شابه من قضايا فساد مالي وتحايل، أظهر أن ما مقداره 800 مليون دولار كانت تحول بشكل غير قانوني أسبوعياً خارج العراق"¹⁰.

3- إقليم كوسوفو: بعد حرب كوسوفو وصربيا تدخلت القوى الدولية فيها لأجل إدارة الأزمة ما بعد الحرب، حيث أجاز قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة 1244 بوجود عسكري ضخم بقيادة الناتو، ووجود مدني بقيادة الأمم المتحدة، للإشراف على إعادة الإعمار في مرحلة ما بعد الحرب¹¹. إلا إن النتيجة لم تكن مثلما كان مخططاً لها، فقد تجلّت عدم الكفاءة في الإنجاز، وتضاربات في المهام، نتيجة صراع المصالح بين المنظمات والمؤسسات الدولية، فأهم مشكلة واجهتها كوسوفو في إعادة الإعمار هي وضع إدارة البلد في مختلف المجالات تحت وصاية المؤسسات الدولية. كالاتحاد الأوروبي، وحلف شمال الاطلسي، ومنظمة الأمن والتعاون

⁸ وجهات نظر مُقارَنة بشأن تحديات إعادة الإعمار في سورية. مركز مالكرم كير-كارينغي للشرق الأوسط، سامر عبود، 2014

⁹ اقتصاديات إعادة الاعمار بعد انتهاء الصراع في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقي، مجموعة البنك الدولي، نيسان 2017.

¹⁰ الشفافية الدولية: العراق بعد عشر سنوات على التغيير دولة هشة بمؤسسات عرجاء، أمان، 2013

¹¹ تحليل الصراعات، معهد السلام الأمريكي، 2006، معهد السلام الأمريكي، برنامج التدريب المهني، 2006.

الأوربية، والأمم المتحدة. فكل مؤسسة تدير شؤون متعلقة بها¹². وقد حصل تباين كبير بين الخدمات المقدمة في الريف والمدينة، كما أن أعمال العنف ظلت مستمرة رغم التدخل الدولي.

4- أفغانستان: كانت أفغانستان مثلاً آخر على عدم جدوى إعادة الإعمار في ظل عدم اتباع استراتيجية فاعلة، ففيها ضاعت البوصلة بين استراتيجيتين بينهما الكثير من التناقض الأولى هي "الوصول للسلام عبر الأمن" والثانية هي "الوصول للسلام عبر إعادة الإعمار" وفي الحالة الأفغانية كانت عقلية الاستراتيجية الأولى هي السائدة عبر أولوية إرساء الأمن، وهو ما يعكسه حجم الإنفاق على الأمن ولكن دون جدوى¹³. حيث كانت هناك قوات أمريكية، والأولوية كانت تذهب للأمن على حساب إعادة الإعمار، فأدت بالتالي إلى زيادة أعمال العنف.

رابعاً: أهم التحديات التي تواجه عملية إعادة الإعمار

ليست عملية إعادة الإعمار بتلك السهولة التي يوحيها لنا مصطلحها، بل هي عملية معقدة كما أوضحنا، تشوبها الكثير من العراقيل والتحديات الناجمة عن تضارب المصالح وأولويات العمل، وفق رؤى القوى الفاعلة، وخاصة تلك الفاعلة على الأرض، ومن هذه التحديات:

- أ- إن عملية إعادة الإعمار يمكن أن تؤدي إلى تكرار العنف، ما لم يكن هناك آلية تحقق العدالة الانتقالية (الملاحقات القضائية - جبر الضرر- إصلاح المؤسسات- لجان الحقيقة..). فتجاهل القوى الفاعلة على الأرض، يخلق الكثير من المشاكل، وينتج المزيد من الصراعات، وحالة العراق والصومال خير دليل على ذلك.
- ب- إن إعادة الإعمار بحاجة إلى التمويل في ظل تدمير جميع البنى، وحتى يتحقق ذلك لا بد من تحقيق الاستقرار في المنطقة، الذي لن يتم دون الانتقال السلمي للسلطة. كما أن التمويل قد يؤدي إلى إدامة الصراعات في حال لم يكن هناك برنامج عمل وفق البلد المراد دعمه، وإمكانية وصوله إلى أيادٍ تخريبية، في ظل غياب التمويل المحلي، نتيجة خروج معظم المؤسسات من الحرب شبه مدمرة .
- ت- تحدٍ آخر يظهر جلياً وهو مصالح الدول المانحة، والامتيازات التي تنوي الحصول عليها، فلا توجد منح دون أن يكون هناك مصلحة لتلك الدول، وفي كثير من الأحيان تفرض أجنداث معينة عند تقديم المنح.

التحديات في سوريا

هناك الكثير من التحديات التي تواجه عملية إعادة الإعمار، فسوريا فعلياً مقسمة بين ثلاث مناطق نفوذ مختلفة، إضافة إلى تدخلات القوى الإقليمية والدولية، حيث يذكر أستاذ العلاقات الدولية وسياسات الشرق الأوسط في جامعة سانت أندرو، في هذا الصدد ريموند هينبوش "إعادة الإعمار ترتبط بالصراع الداخلي على السلطة، وترتبط أيضاً بالصراع الجيوسياسي على

¹² أمينة زغيب، استراتيجيات المنظمات الدولية في إعادة الإعمار لفترة ما بعد الحرب، نموذج إقليم كوسوفو، رسالة ماجستير من كلية العلوم السياسية جامعة الحاج خضر باتنة المنشورة عام 2011-2012، ص165.

¹³ ملف إعادة الإعمار في سورية، سامر سلامة، قاسيون، 2020.

سوريا الذي تُرجم سابقاً في المرحلة العسكرية، ثم انتقل إلى معركة جيوسياسية دولية حول إعادة الإعمار¹⁴.

إن قضية اللاجئين تشكل تحدياً رئيسياً، فهناك الملايين من اللاجئين الذين هجروا ديارهم، وملايين النازحين الذين تعرضوا للتهجير القسري، هؤلاء بحاجة إلى السلام والأمن؛ لتأمين العودة الآمنة لهم، فضلاً عن ضرورة ترميم وإعادة بناء مدنهم وقراهم التي دمرتها الحرب.

التحدي الآخر هو ظاهرة الفساد المتفشي ضمن مؤسسات الدولة من ناحية، ومن الناحية الأخرى والأخطر من كافة أنواع الفساد هو الذي يكتسبه الفرد كخاصية شخصية، فإذا فسد الفرد فسدت الدولة وفسد المجتمع، وتعد هذه الظاهرة من أهم ما أنتجه هذا النظام، وبذلك يصبح الفساد العائق الأكبر أمام إعادة الإعمار.

خامساً: الجهات الفاعلة في الساحة السورية ودورها في عملية إعادة الإعمار

إن عملية إعادة الإعمار تحتاج إلى مبالغ طائلة، وفي آخر تقرير مشترك أجرته شركة الاستشارات الاقتصادية "Frontier Economics" والمنظمة الخيرية "World Vision" تحت عنوان "ثمن باهظ للغاية: تكلفة الحرب على أطفال سوريا" تقدر التكلفة الاقتصادية للنزاع في سوريا بعد 10 سنوات بأكثر من 1.2 تريليون دولار أمريكي، وحتى لو انتهت الحرب اليوم، فستستمر تكلفتها في التراكم لتصل إلى 1.7 تريليون دولار إضافية بأموال اليوم حتى عام 2035¹⁵.

وكان المركز السوري لبحوث الدراسات قد أعد دراسة صدرت في مايو/ أيار من العام الماضي ذكر فيها أن خسائر الاقتصاد السوري منذ عام 2011 وحتى مطلع العام 2020 بلغت 530 مليار دولار، وهو ما يعادل 9.7 أضعاف الناتج المحلي الإجمالي لعام 2010 بالأسعار الثابتة

وفي ظل كل هذا الدمار دخلت كثير من القوى إلى الساحة السورية ولكن بروى مختلفة.

1- محلياً: تعمل حكومة دمشق وبشتى الوسائل أن يكون الإعمار من نصيب الموالين له إقليمياً ودولياً (إيران- روسيا)، وأن يكونوا المستفيدين بالدرجة الأولى، فقد قال الأسد في خطابه عند افتتاح معرض دمشق الدولي: "علينا أن نتوجه سياسياً واقتصادياً وثقافياً، شرقاً"¹⁶

بالإضافة إلى الموالين له من داخل المجتمع، والذين سيكون لهم النصيب الأكبر في مشاريع إعادة الإعمار. وهذا ما قد يخلق أزمة أخرى، يمكن أن تكون سبباً في عدم الحل، وخلق كثير من النزاعات، وذلك بسبب العديد من القوانين التي أصدرها النظام، كالقانون رقم 66 ورقم 10 والذي بموجبه يمكن الاستيلاء على أملاك المدنيين، وخاصة من كان ينتمي إلى "المعارضة". فعدم المساواة بين المواطنين ربما سيزيد من حدة الخلافات الداخلية، ويؤجج الصراعات بين أطراف المجتمع السوري مستقبلاً.

¹⁴ معركة إعادة إعمار سوريا. الأخبار، حسين فحص، 2020.

¹⁵ [Ten years of war in Syria has cost \\$1.2 trillion USD according to World Vision](#) 4 آذار، 2021

¹⁶ كلمة السيد الرئيس خلال افتتاح مؤتمر وزارة الخارجية والمغتربين. سفارة الجمهورية العربية السورية- النمامة، 2017.

تحاول دمشق من جهة أخرى الاستفادة من المساعدات الممنوحة عن طريق المنظمات، وذلك بوضع قوانين أمنية تعرقل عملهم، وتفرض عليهم التعامل مع جهات محلية تعنيها هي أو تتبع لها أو تواليها على أقل تقدير، حيث ورد في تقرير لمنظمة هيومن رايتس ووتش: "أن القيود الحكومية المنتظمة على وصول المنظمات الإنسانية إلى المجتمعات المحلية المحتاجة أو المتلقية للمعونة، والموافقة الانتقائية على المشاريع الإنسانية واشتراطها عليها أن تشارك الجهات الفاعلة المحلية التي خضعت لتدقيق أمني.¹⁷" خاصة أن الإمكانيات المحلية ضعيفة جداً في ظل العقوبات، فقد خصصت الموازنة 2019 نسبة 29% للإنفاق الاستثماري، بمبلغ يقدر بـ 1100 مليار ليرة، ولم ترصد لـ"إعادة الإعمار" أكثر من 50 مليار ليرة ما يعادل 115 مليون دولار، في الوقت الذي تقدر احتياجات البلاد إلى 400 مليار دولار لإعادة الإعمار.¹⁸ وفي موازنة العام 2021 التي قدرت بـ 8.5 ترليون ليرة سورية، لم يذكر بند واضح مخصص لإعادة الإعمار. لأن الحكومة تسعى في الوقت الحالي فقط إلى تأمين أدنى مستويات المعيشة للمواطنين، "وهذه ليست بالمهمة اليسيرة بسبب الأزمة الاقتصادية التي تخنق البلاد. كما أن مشاريع إعادة الإعمار المتوسطة والكبيرة سيتم تجميدها. وإذا لم يتم التوصل لتسوية سياسية، ورفع العقوبات من أجل تمكين عملية إعادة الإعمار"¹⁹.

2- الموقف الأوروبي

ما زال الاتحاد الأوروبي محافظاً على موقفه بعدم المساهمة في عملية إعادة الإعمار، طالما لا تغيير في نظام الحكم، وطالما أن روسيا وإيران تتحكمان بمفاصل السلطة، فقد أوضح دبلوماسي فرنسي يشارك بالاجتماعات الدولية الجارية حول سوريا، "إن الاتحاد ليس صندوقاً مالياً لتمويل مشاريع قامت بها دول لا تتسق معنا"²⁰.

كما يتضح الموقف من خلال ما ذكرته وزيرة الدفاع الألمانية "أورزولا فون دير لاين" خلال مؤتمر أمني في البحرين حيث قالت: "لن تحصل استثمارات في سوريا إلا مع وجود عملية سياسية تأتي بالسلم تشارك فيها جميع الأحزاب"²¹. وفي هذا السياق قال رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون: "نعتقد أن السبيل الوحيد للمضي قدماً، هو التوصل إلى عملية سياسية وإيضاح الأمر لإيران وروسيا ونظام الأسد أننا كمجموعة تحمل نفس الفكر، لن ندعم إعادة إعمار سوريا حتى توجد عملية سياسية، وذلك يعني، وفقاً للقرار 2254، عملية انتقالية بعيداً عن الأسد"²². فمواقف كل من فرنسا وألمانيا وبريطانيا واضحة في هذا الخصوص، حيث أي إعادة للإعمار لا بد أن يرتبط بالانتقال السياسي وقرار 2254.

¹⁷ سياسات الحكومة السورية لاستغلال المساعدات الإنسانية وتمويل إعادة الإعمار. هيومن رايتس ووتش، 2019.

¹⁸ موازنة 2019 السورية: إعادة الإعمار بـ 115 مليون دولار! المدن، وجيه حداد، 2018

¹⁹ دراسة تحليل موازنة 2021 وتكشف عمق المصائب في اقتصاد سوريا - موقع سوريا - 2020/12/2

[/https://www.syria.tv](https://www.syria.tv)

²⁰ مصدر: أوروبا لن تشارك بعملية إعادة إعمار سوريا بقيادة روسيا. روسيا اليوم، 2018.

²¹ ألمانيا وإعادة إعمار سوريا - لا مشاركة دون عملية سياسية. ديانا هودالي/ ريشارد فوخ/ م.أ.م.

²² بريطانيا: إعادة إعمار سوريا لن يتم إلا بعد الانتقال السياسي "بعيدا عن الأسد". Bbc، 2018.

3-الموقف الأمريكي

الولايات المتحدة لا تحاول إعادة الإعمار في الظروف الحالية، بل فرضت مؤخراً عقوبات (قانون القيصر)، التي أثرت سلباً على الاقتصاد السوري. فهي تشترط إعادة إعمار سوريا بالانتقال السلمي، وتطبيق القرار 2254. وقد أعلن وزير الخارجية الأمريكي السابق، مايك بومبيو، أن الولايات المتحدة لن تساهم بمساعدات إضافية في إعادة إعمار سوريا، طالما بقيت القوات المدعومة إيرانياً في البلاد. وأضاف "إذا لم تضمن سوريا الانسحاب الكامل للقوات المدعومة من إيران فلن تحصل على دولار واحد من الولايات المتحدة لإعادة الإعمار"²³.

4-الموقف الروسي

إن التدخل الروسي في الأزمة السورية، جعل منها لاعباً أساسياً بين الدول الإقليمية، فتدخلها كان لا بد أن يعيد دورها الاستراتيجي مع كل من إسرائيل وإيران وتركيا، فقد دخلت إلى لعبة الأمم من بوابة سوريا. وقد ازداد الدور الروسي باستحواذها على ميناء طرطوس لمدة 45 عاماً ومدرج مطار حميميم.

بعد أن حققت روسيا "انتصارات" للنظام، تحاول أن تؤمن إعادة الإعمار له، وذلك بالتقرب من أوروبا ودول الخليج. كما إنها تحاول أن تدوّل قضية إعادة الإعمار، لتغيير جدول النقاش عما ارتكبه هذا النظام إلى الآن. فهي تحاول استغلال ورقة اللاجئين للحصول على المال، ولكي تكسب عقود إعادة الإعمار لشركاتها، وبذلك تنعش اقتصادها، خاصة في مجال الطاقة، حيث ذكر دبلوماسي كبير في الاتحاد الاوربي في حديثٍ إلى مجلة Foreign Policy الأمريكية: "روسيا تريد أموالنا لإعادة بناء سوريا، حتى تتمكن الشركات الروسية من الحصول على العقود"²⁴

لم تنجح روسيا إلى الآن في استقطاب المانحين، لذلك تستطيع روسيا أن تبقى الوضع في سوريا كما هو لتحافظ على مكتسباتها، بعبارة أخرى روسيا تستطيع أن تجمد الوضع في سوريا على هذه الحالة، شريطة أن لا تفقد مكاسبها، التي تحاول أن تكتسبها عن طريق سياسة الكسب السهل. لذلك عليها أن تتحرك أما بالمشاركة في الانتقال السياسي كما تهدف كل من الولايات المتحدة والدول الاوربية، أو أن تبقى هكذا تنتظر، باعتبارها لا تمتلك مقومات لطرح أية مشاريع بديلة في سياق عملية إعادة الإعمار يمكن لها القيام بتطبيقها منفردة.

5-الموقف الإيراني

إيران تحاول تمكين وجودها العسكري والسياسي في سوريا حتى تحقيق أهدافها، وفي سبيل ذلك أنفقت حتى الآن ما لا يقل عن 30 مليار دولار أمريكي، هذا وقد حصلت شركات إيرانية خلال عامي 2017 و2018 على عدة عقود من أجل تأهيل وإعادة بناء البنية التحتية²⁵. كما تمكنت

²³ الحرب في سوريا: واشنطن تشترط خروج القوات المدعومة إيرانياً كي تشارك في إعادة الإعمار. 2018.

²⁴ [Russia's Payback Will Be Syria's Reconstruction Money](#)، BY ANCHAL VOHRA، 2019

²⁵ [السياق السياسي الاقتصادي لإعادة الإعمار في سوريا الأفق في ظل إرث تنموي غير متكافئ](#)، جوزيف ضاهر، European

من إبرام ستة اتفاقيات مع النظام السوري في مجال الاتصالات والنفط والزراعة والصناعة وغيرها، في إطار أكبر صفقة اقتصادية بتاريخ سوريا اتخذت طابع إعادة الإعمار²⁶. فافتتاح مركز تجاري لإيران في دمشق يدل على محاولة إيران وتخطيطها الدخول في تفاصيل الحياة التجارية السورية، وفتح قنوات التواصل مع أهم المدن التجارية السورية. وكذلك قصة شراء الأراضي والعقارات وترميم المزارات من قبل الإيرانيين، يشير إلى مخطتهم الطويل الأمد في المنطقة. حيث نقل عن رئيس مديرية إعادة إعمار المزارات المقدسة حسين بالاراك قوله: "سوف تتم إعادة النظر في المخطط العمراني للمنطقة المحيطة بالسيدة زينب. نعمل حالياً على نموذج جديد ونعمل على شراء العقارات المحيطة بالمزار.. كما وقعت الحكومتان السورية والإيرانية عقداً تحصل بموجبه الشركات الإيرانية على حوالي 11000 هكتار من الأراضي في المنطقة الساحلية لتطوير المشاريع الزراعية وإنشاء مستودعات لتخزين النفط²⁷".

إيران تحاول البقاء في سوريا، وقد بدا ذلك واضحاً من خلال مشروع سكة حديد البصرة-اللاذقية إلا إن الولايات المتحدة عملت على منع هذا المشروع الذي يوصل إيران بسوريا ثم لبنان برأ. ربما حديث وزير الصناعة الإيراني يوضح لنا أكثر الاستراتيجية الإيرانية في سوريا، من خلال مشروعها المتمثل بالهلال الشيعي، حيث يقول مستغلاً في كل فرصة "نعتبر إعادة إعمار دول مثل سوريا والعراق" واجباً دينياً²⁸. ولكن العقوبات المفروضة على إيران والوضع الاقتصادي المزري، ومشاكلها الداخلية والخارجية، تصبح عائقاً أمام مشاركتها الفعالة في عملية إعادة الإعمار، من مبدأ الميت لا ينقذ ميتاً. وزاد في الطين بلة وقوف روسيا عائقاً أمامها، فالمصالح تلعب دوراً حتى بين الحلفاء، إن إيران تشكل منافساً كبيراً لروسيا في سوريا في قضية إعادة الإعمار، وكنتيجة للمواجهة مع روسيا، اقتصر دورها على المساجد ودور العبادة، ولكن في جميع الأحوال لا تستطيع الدولتان إعادة الإعمار الشاملة، لأنهما تعانين من أزمة اقتصادية نتيجة العقوبات التي تفرض عليهما، ومثال على ذلك عجزت سورية عن تأمين التمويل لمساهماتها في بعض المشاريع التي أبرمت بشأنها إيران وموسكو عقوداً، بغية إنشاء أو تصنيع مصانع الكهرباء. وعليه، انسحبت طهران وموسكو من هذه المشاريع²⁹. فقط هما تحاولان حماية مصالحهما الاستراتيجية من خلال الاستيلاء على الموانئ، وبناء القواعد العسكرية في سوريا، فروسيا تعزز الدوائر الأمنية بينما إيران تعزز الميليشيات.

6-الموقف التركي

تركيا لها مصالح جمة في إعادة إعمار سوريا، خاصة أنها تحتل أجزاء كبيرة منها، فهي تحاول إنعاش اقتصادها وإنعاش شركاتها، وتتطلع إلى هذا الدور كثيراً، وتحاول البقاء في تلك المناطق، لما لها من فائدة تعود عليها، ولكن ما هو باد للعيان أنها سوف تخرج من المولد السوري بدون حمص، وخير ما يثبت ذلك هو انحصارها بين طرحي الانتقال السياسي والحل

²⁶ كيف تقطف إيران ثمار تدخلها في سوريا الآن؟ نون بوست، فريق التحرير، 2017.

²⁷ التعمير بعد تدمير: كيف يستغل النظام دمار الممتلكات وتشريعات الراضي. جهاد يازجي، موقع ذا سيريا ريبورت

²⁸ وزارة الصناعة الإيرانية: إعادة إعمار سوريا واجب ديني. قناة كلمة الفضائية، 2020.

²⁹ مفارقة إعادة إعمار سورية. مركز مالكوم كير-كارينغي، جوزيف ظاهر 2019.

السياسي، والسبب الأساسي في ذلك هو اعتمادها على الإخوان المسلمين الذين لا مستقبل لهم في سوريا حالياً ومستقبلاً.

7- الموقف الصيني

للصين مصالح عدة تربطها بسوريا، بحكم وقوع سوريا ضمن مشروع الحزام والطريق من ناحية، ومن ناحية أخرى فهي تدعم النظام لمحاربة الإرهاب، وخاصة لوجود الإيغور بينهم، إضافة إلى إيجاد سوق لاستثماراتها، لذلك وعدت الصين بكثير من الدعم لسوريا في 2017، فهي تستخدم القوى الناعمة للاستحواذ على المشاريع في سوريا، ومن ضمن ذلك أنها قدمت المنحة المالية بقيمة 14 مليون دولار أميركي بموجب اتفاقية تعاون اقتصادي وفني وقعتها "هيئة التخطيط والتعاون الدولي" التابعة لمجلس الوزراء، في 4 مارس 2018³⁰. ولكن تبقى الصين حذرة من هذه الناحية، نتيجة لحالة عدم الاستقرار والعقوبات الاقتصادية على سوريا.

8- دول الخليج العربي

تتطلع هذه الدول إلى المشاركة في إعادة الإعمار، من أجل هدف واضح وهو إبعاد الدور الإيراني، وقد أبلغ الملك سلمان الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، أن الرياض لا يمكن أن تدفع مليارات الدولارات لتصب في خدمة إيران، وأن أي حديث عن إعادة الإعمار يجب أن يكون بعد حل سياسي يكون فيه القرار بيد السوريين، دون تدخل خارجي لفائدة أي جهة كانت³¹. وأعلنت المملكة العربية السعودية في بيان أوردته وكالة الأنباء السعودية الرسمية، أنها قدمت مساهمة بمبلغ 100 مليون دولار لصالح "مشاريع استعادة مصادر الرزق والخدمات الأساسية"، ينفذها التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة³². إن موقف دول الخليج متضامن مع الطرح الذي يقدمه الغرب.

النتائج والتوصيات

إن عملية إعادة الإعمار جزء لا يتجزأ من الحلول المرتقبة في نهاية كل حرب، وفي الحالة السورية التي تداخل في أزمته تناقضات عديدة بين الدول الإقليمية والعالمية، التي تتقاطع مصالحها في أحيان وأماكن وتتعارض بذات الوقت في أحيان وأماكن أخرى. لذلك رأينا أن أي حديث حول قضية إعادة الإعمار يرتبط بشكل الحل الذي تحاول أية دولة تسويقه داخلياً أو على صعيد الرأي العام العالمي. وبالنتيجة حتى تبدأ عملية إعادة الإعمار لابد من جعل النظام الذي تسبب أساساً في نشوء هذه الحرب يعمل على إزالة أسباب هذه الحرب، وهذا الدمار.

وفي ذلك يمكننا ذكر أهم النتائج العامة للدراسة:

- لا ترتبط عملية إعادة الإعمار بالجوانب الاقتصادية فحسب بل تتعداها إلى الجوانب السياسية أيضاً.

³⁰ [يكن أقرب المتسابقين لإعادة إعمار سوريا](#). العرب، 2020.

³¹ [روسيا تحول إيران لورقة تفاوض في ملف إعادة إعمار سورية](#). المرصد السوري لحقوق الانسان، 2018.

³² [السعودية تمنح 100 مليون دولار لمشاريع "تحقيق الاستقرار في سوريا" ينفذها التحالف الدولي](#). فرانس 24، 2018.

- إن القوى الفاعلة في الأزمة السورية سواءً الدولية أو الإقليمية؛ تنظر إلى عملية إعادة الإعمار من زاوية مصالحها واستراتيجياتها المستقبلية سواءً في سوريا أو في المنطقة.
 - لا تمتلك سوريا كدولة؛ المقومات الاقتصادية الكافية للبدء بعملية إعادة الإعمار، ولا المقومات السياسية، بعد ارتهان قرارها بأيدي حليفها الرئيسيين روسيا وإيران.
 - لن تسمح الولايات المتحدة بأية عملية إعادة إعمار في سوريا؛ طالما لن تتحقق مساعيها في تحجيم الدور الإيراني في البلاد من جهة، وعدم التزام النظام السوري بالقرار الدولي 2254 القاضي بضرورة الانتقال السلمي للسلطة وضمن العودة الآمنة للاجئين إلى ديارهم وقراهم ومدنهم.
 - يختلف النموذج السوري عن العديد من نماذج إعادة الإعمار في تلك الدول التي دمرتها الحروب في الماضي، وذلك لوجود قوى دولية وإقليمية لا تتوافق مصالحها واستراتيجياتها السياسية في سوريا.
 - تواجه هذه العملية تحديات كبيرة على الصعيد الداخلي والخارجي، ترتبط بالدرجة الأولى بحالات الفساد والانتقائية التي تنتهجها الدولة محلياً وبمسائل التمويل والمنح المالية للدول خارجياً، والتي تربطها بتحقيق مصالحها بالدرجة الأولى.
- للك فإننا ومن خلال التحليل السابق للجوانب السياسية لعملية إعادة الإعمار وإيراد وجهات نظر الأطراف الفاعلة في الحالة السورية، فإننا نرى أن أمام النظام خيارين على الأرجح، للبدء في استقطاب الجهات الفاعلة والنافذة، وهما:

الخيار الأول- التحول الديمقراطي

إن تعنت النظام في الحل العسكري، وعدم الاعتراف بالأسباب الداخلية التي أدت إلى الوضع المدمر الذي وصلته البلاد ويعيشه الشعب السوري، أدى إلى تفاقم الأزمة، وجعل من سوريا مرتعاً للكثير من التدخلات الإقليمية والدولية، ولكن ما يزال أمام النظام وقت لتجاوز هذا الوضع، بالاعتماد على الإمكانيات الذاتية، ولكي يستطيع الاستفادة القصوى من الإمكانيات المتاحة، ووضعها في خدمة عملية إعادة الإعمار لا بد من:

- 1- إزالة كافة أسباب الحرب والدمار الذي لحق بالبلاد، من خلال حل جميع القضايا العالقة من قضايا الديمقراطية والعدالة والانتقال السلمي للسلطة.
- 2- حل القضايا القومية داخل البلاد، مثل الكرد؛ والعديد من المكونات الأخرى التي تتعرض للتمييز.
- 3- التحول إلى نظام لامركزي، والقبول بنظام الإدارات الذاتية، وجعلها نموذجاً عاماً للدولة، لكي تستطيع أن تستفيد من الإمكانيات التي تمتلكها تلك المناطق.
- 4- كتابة الدستور الجديد وفق قرار 2254، الذي يتيح الانتقال السياسي بشكل سلس، وفقاً للمعايير الدولية واتفاقيات حقوق الإنسان.
- 5- إنهاء كافة التدخلات الخارجية التي كانت الحرب حجة لتنفيذ أجنداتهم.

الخيار الثاني- استمرار التعنت وتزايد وقع الأزمة في البلاد

أما في حال استمرار النظام في تعنته وسياسته الحالية، فدمشق أمام خيار آخر، وهو:

- 1- تعزيز حالة التقسيم التي تعيشها الدولة، والقيام بعملية إعادة الإعمار لكل منطقة على حداء، وفق نفوذ ومصالح الدول النافذة، الناتجة بحكم الأمر الواقع.
- 2- استمرار فرض العقوبات على الحكومة، مما يؤدي إلى ضعف كبير في بنية الدولة، وانتشار حالة الفقر المدقع لدى الشعب.
- 3- استمرار حالة العزلة، داخلياً وخارجياً.

وهذا الخيار باعتقادنا سيكون سبباً لاستمرار حالة الفوضى، وحالة عدم الاستقرار، مما يؤدي إلى المزيد من العنف والمزيد من التدخلات.